الدورة الشرعية الفلكية الأولى

آراء الفقهاء الفلكية ودراستها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–

د. فهد بن عبد الكريم السنيدي[1]

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ)[2].

والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: معنى علم الفلك وأنواعه:

أولاً: معنى علم الفلك:

عرف بعدة تعاريف، من أهمها ما يلي:

- علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك، لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.
- علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها.
- معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمتها وحركاتها، وما يتبعها من هذا الفن[3].

وهذه التعاريف ذات معان متقاربة، ويمكن من خلالها تعريف علم الفلك بالآتي:–

هو العلم الذي يبحث في ذات الأجرام السماوية والعلاقة بينها، وحركاتها وانتظامها مما يمكن أن يدركه الإنسان أو جاءت به الأخبار الصحيحة.

ثانياً: أنواع علم الفلك:

علم الفلك على نوعين: حسابي واستدلالي:

علم الفلك الحسابي: يستدل به على الجهات والقبلة وأوقات الصلوات، ومعرفة أسماء الكواكب، وهذا متفق على جوازه، بل إن أكثر الفقهاء على أنه فرض كفاية.

قال ابن عابدين: (والحسابي حق، وقد نطق به الكتاب في قوله تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)[٤])[٥].

علم الفلك الاستدلالي: هو الاستدلال بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية، وهذا النوع منهي عنه[٦]؛ لحديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**)[٧].

قال البغوي: "المنهي من علوم النجوم، ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع، وربما تقع في الزمان...، وهذا علم استأثر الله -عز وجل- به لا يعلمه أحد غيره، كما قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ)[٨].

فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة، فإنه داخل فيما نهي عنه؛ قال الله سبحانه وتعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[٩]، وقال جل ذكره: (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[١٠]، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها...)[١١].

ترجمة موجزة

لابن تيمية

هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، ولد بحران عام ٦٦١هـ، وفي السابعة من عمره انتقل مع والده إل دمشق هاربا من وجه الغزاة التتار، ونشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى الرابع محمد بن الخضر، ومنهم عبد الحليم بن محمد بن تيمية وعبد الغني بن محمد بن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها: المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه، والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، وأخوه عبد الرحمن، وغيرهم.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم، وتبحر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد منذ شبابه، فلم يلبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة قبل بلوغ الثلاثين من عمره.

ترك للأمة ثروة علمية ضخمة من المؤلفات والرسائل والفتاوى والمسائل وغيرها في كل مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة وتخدم الإسلام[١٢] ومن ذلك علم الفلك[١٣] ومن سعة علمه وغزارته أنه إذا كتب في علم من العلوم ظن القارئ أنه لا يتقن غيره، وذلك لإحكامه له وتبحره فيه.

توفي –رحمه الله– بسجن القلعة بدمشق عام ٧٢٨هـ، وحضر جنازته خلق كثير[١٤].

آراء ابن تيمية الفلكية

أولاً: حساب الأشهر والسنين معلق بالقمر ورؤيته:

قال الشيخ –رحمه الله–: (فإنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يرى أو لا يرى لا يجوز).

والنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة. وقد أجمع المسلمون عليه. ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا، ولا خلاف حديث؛ إلا أن، بعض المتأخرين من المتفقة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا. وهذا القول وإن كان مقيداً بالإغمام ومختصاً بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه. فأما اتباع ذلك في الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم)[١٥] اهـ.

وقال: (لم يعلق الله لنا بالشمس حساب شهر وسنة، وإنما علق ذلك بالهلال كما دلت عليه تلك الآية؛ ولأنه قد قال: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ)[١٦]، فأخبر أن الشهور معدودة اثنا عشر، والشهر هلالي بالاضطرار، فعلم أن كل واحد منها معروف بالهلال)[١٧].

وقال –رحمه الله–: (فإن عدد شهور السنة، وعدد السنة بعد السنة إنما أصله بتقدير القمر منازل، وكذلك معرفة الحساب، فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون بالهلال، وكذلك قوله تعالى: (قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)[١٨] فظهر بما ذكرناه أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة، وأنه ليس شيء يقوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبني عليه، وتيسر ذلك وعمومه، وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد)[١٩].

وذكر –رحمه الله– أن: الصواب الذي عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن تكون المواقيت كلها معلقة بالأهلة، وهذا عام في جميع الأحكام من صوم وبيع ونذر وإيلاء... إلخ، سواء بدأ الحكم في أول الشهر أو في وسطه. ولذلك تفصيل وتفسير[٢٠].

وقال كذلك: (ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم)[٢١].

ثانياً: معرفة طلوع الهلال هو الرؤية بالسمع والعقل:

- قال –رحمه الله–: (الطريق إلى معرفة طلوع الهلال هو الرؤية لا غيرها)[٢٢].
- وقال –رحمه الله–: (واتفق أهل الحساب العقلاء على أن معرفة ظهور الهلال لا يضبط بالحساب ضبطاً تاماً قط، ولذلك لم يتكلم فيه حذاق الحساب، بل أنكروه، وإنما تكلم فيه قوم من متأخريهم تقريباً، وذلك ضلال عن دين الله وتغيير له، شبيه بضلال اليهود والنصارى عما أمروا به من الهلال، إل غاية الشمس، وقت اجتماع القرصين، الذي هو الاستسرار، وليس بالشهور الهلالية، ونحو ذلك... فمن أخذ علم الهلال الذي جعله الله مواقيت للناس والحج بالكتاب والحساب، فهو فاسد العقل والدين)[٢٣].

ثالثاً: المواقيت الشرعية معتبرة بالعبادات:

- قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (ولا ريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: **(إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب، صوموا رؤيته، وأفطروا لرؤيته)** والمعتمد على الحساب في الهلال، كما أنه ضال في الشريعة، مبتدع في الدين، فهو مخطئ في العقل وعلم الحساب) [٢٤].

- وقال –رحمه الله–: (قوله صلى الله عليه وسلم: (**إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب**) هو خبر تضمن نهياً، فإنه أخبر أن الأمة التي اتبعته هي الأمة الوسط أمية لا تكتب ولا تحسب، فمن كتب أو حسب "أي لإثبات الأهلية ونحوها" لم يكن من هذه الأمة في هذا الحكم، بل يكون قد اتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة، فيكون قد فعل ما ليس من دينها، والخروج عنها محرم منهي عنه، فيكون الكتاب والحساب المذكوران محرمين منهيا عنهما...) إلى أن قال: (أرباب الكتاب والحساب لا يقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر، وإنما يقربون ذلك، فيصيبون تارة ويخطئون أخرى)[٢٥].

رابعاً: دوران الفلك والأفلاك مستديرة:

- (سئل عن رجلين تنازعا في "كيفية السماء والأرض" هل هما جسمان كُرَّيَّان؟ فقال أحدهما: كُرَّيَّان، وأنكر الآخر هذه المقالة وقال: ليس لها أصل وردها، فما الصواب؟

فأجاب –رحمه الله–: "السماوات مستديرة عند علماء المسلمين وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام...، وإن كان قد أقيم على ذلك أيضاً دلائل حسابية. ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك، إلا فرقة يسيرة من أهل الجدل لما ناظروا المنجمين فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الأحوال والتأثير، خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب وقالوا على سبيل التجويز يجوز أن تكون مربعة أو مسدسة أو غير ذلك؛ ولم ينفوا أن تكون مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك. وما علمت من قال إنها غير مستديرة –وجزم بذلك– إلا من لا يؤبه به له من الجهال. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٢٦] وقال تعالى: (لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٢٧]. قال ابن عباس وغيره من السلف: في فلكة مثل فلكة المغزل، وهذا صريح بالاستدارة والدوران، وأصل ذلك: أن "الفلك في اللغة" هو الشيء

المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة فلكة؛ لاستدارتها. فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن "الفلك" هو المستدير والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف ومن اللغة التي نزل القرآن بها وهي لغة العرب. وقال تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)[٢٨] قالوا: و "التكوير" التدوير يقال: كورت العمامة، وكورتها إذا دورتها، ويقال: للمستدير كارة وأصله "كورة" تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً. ويقال أيضاً: "كرة" وأصله كورة، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبةٍ وقلةٍ. والليل والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة؛ فإن الزمان مقدار الحركة؛ والحركة قائمة بالجسم المتحرك فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفاً بالاستدارة كان الجسم أولى بالاستدارة .... .

والآثار في ذلك لا تحتملها الفتوى؛ وإنما كتبت هذا على عجل. والحس مع العقل يدل على ذلك فإنه مع تأمل دوران الكواكب القريبة من القطب في مدار ضيق حول القطب الشمالي ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مدار واسع وكيف يكون في أول الليل وفي آخره؟ يعلم ذلك. وكذلك من رأى حال الشمس وقت طلوعها واستوائها : وغروبها في الأوقات الثلاثة على بعد واحد وشكل واحد ممن يكون على ظهر الأرض علم أنها تجري في فلك مستدير وأنه لو كان مربعاً لكانت وقت الاستواء أقرب إلى من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب ودلائل هذا متعددة)[٢٩].

خامساً: الأرض كروية:

قال –رحمه الله تعال–: (اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل، والماء –أيضاً– مقبب من كل جانب الأرض، والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا، وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها ونهاية التحت المركز؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف

الجهات باختلاف الإنسان فعلو الأرض وجهها من كل جانب، وأسفلها ما تحت وجهها -ونهاية المركز- هو الذي يسمى محط الأثقال، فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطاً ومنه إلى وجهها صعوداً، وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية وكذا الباقي. والكرسي فوق الأفلاك كلها.... والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع...)[٣٠].

وقال -رحمه الله تعال-: (وقد بينا في جواب المسائل التي سئلت عنها في ذلك أن الأفلاك مستديرة عند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان كما ثبت ذلك عنهم بالأسانيد المذكورة في موضعها بل قد نقل إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من علماء المسلمين الذين هم من أخبر الناس بالمنقولات، كأبي الحسين بن المنادي -أحد أكابر الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربعمائة مصنف- وأبي محمد ابن حزم الأندلسي، وأبي الفرج ابن الجوزي)[٣١].

سادساً: الأفلاك هل هي السماوات أو غيرها؟

(وسئل شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: عن خلق السماوات والأرض، وتركيب النيرين والكواكب، هل هي مثبتة في الأفلاك والأفلاك تتحرك بها، أم هي تتحرك والفلك ثابت، أم كلاهما متحرك؟ وهل الأفلاك هي السماوات، أم غيرها؟ وهل تختص النجوم بالسماء الدنيا؟ وهل إذا كان الشمس والقمر في بعض السماوات يضيء نورها جميع السماوات؛ وهل ينتقلان من سماء إلى سماء؟ وهل الأرضون سبع أو بينهن خلق أو بعضهن فوق بعض؟ وهل أطراف السماوات على جبل أم الأرض في السماء كالبيضة في قشرها، والبحر تحت ذلك، والريح تحته؟ وهل فوق السماوات بحر تحت العرش؟

فأجاب: الحمد لله، هذه المسائل تحتاج إلى بسط كثير لا تحتمله هذه الورقة؟ والسائل عن هذه المسائل يحتاج إلى معرفة علوم متعددة، ليجاب بالأجوبة الشافية، فإن فيها نزاعاً وكلاماً طويلاً، لكن نذكر له بحسب الحال.

أما قوله: الأفلاك هل هي في السماوات أو غيرها؟ ففي ذلك قولان معروفان للناس، لكن الذين قالوا: إن هذا هو هذا احتجوا بقوله تعال: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً)[٣٢]، قالوا: فأخبر الله أن القمر في السماوات. وقد قال تعال: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٣٣]، وقال تعالى: (لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٣٤].

فأخبر في الآيتين أن القمر في الفلك، كما أخبر أنه في السماوات؛ ولأن الله أخبر أننا نرى السماوات بقوله: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ)[٣٥]. وقال: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ)[٣٦]، وأمثال ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهدة، والمشاهد هو الفلك، فدل على أن أحدهما هو الآخر.

وأما قوله: هل الشمس والقمر تحركان بدون الفلك، أم حركتهما بحركة الفلك، ففيه نزاع أيضاً، جمهور الناس على أن حركتهما بحركة الفلك.

وأما قوله تعال: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فلا يمنع أن يكون ما ذكره من أنهم يسبحون تابعاً لحركة الفلك، كما في الليل والنهار، فإن تعاقب الليل والنهار، تابع لحركة غيرهما، وقوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يتناول الليل والنهار والشمس والقمر، كما بين ذلك في سورة الأنبياء.

وكذلك في سورة يس: (وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٣٧]. فتناول قوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ما تقدم الليل والنهار، والشمس كما ذكر في سورة الأنبياء، وإذا كان أخبر عن الليل والنهار بما أخبر به من أنهما يسبحان، وذلك تابع لحركة غيرهما مثل ذلك ما أخبر به من أن الشمس والقمر يسبحان تبعاً للفلك، وعلى ذلك أدلة ليس هذا موضع بسطها.

وأما النجوم، فإن الله أخبر أنها زينة لسماء الدنيا، كما قال تعال: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ)[٣٨].

وقال: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)[٣٩]، فقال بعض من قال: إن الأفلاك غير السماوات، وإن المراد بالسماء الدنيا هنا الفلك الثامن، الذي يذكر أهل الهيئة أن الكواكب الثابتة فيه، وادعوا أن تلك هي السماوات العلى، وأن الأفلاك هي السماوات الدنيا، ولكن هذا قول مبني على أصل ضعيف، وأيضاً فإن الذي نشهده هو الكواكب. وقال تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ)[٤٠] والخنوس الاختفاء، وذلك قبل ظهورها من المشرق، والكنوس رجوعها من جهة المغرب، فما خنس قبل ظهورها كنس بعد مغيبها، جوارٍ حال ظهورها، تجرى من المشرق إلى المغرب.

والشمس والقمر في الفلك، كما أخبر الله تعال لا تنتقل من سماء إلى سماء. وليست السماوات متصلة بالأرض، لا على جبل قاف ولا غيره، بل الأفلاك مستديرة، كما أخبر الله ورسوله، وكما ذكر ذلك علماء المسلمين وغيرهم، فذكر أبو الحسين ابن المنادي، وأبو محمد بن حزم، وأبو الفرج بن الجوزي، وغيرهم إجماع المسلمين على أن الأفلاك مستديرة، وقال ابن عباس في قوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: في فلكة مثل فلكة المغزل، والفلك في لغة العرب الشيء المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار. وقد خلق الله سبع أرضين، بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة**) وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع على ذلك، وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة. وتحت العرش بحر، كما جاء في الأحاديث، وكما ذكر في تفسير القرآن، وكما أخبر الله أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء. والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلى الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال: (**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن**).

والأرض يحيط الماء بأكثرها، والهواء يحيط بالماء والأرض، والله تعالى بسط الأرض للأنام، وأرساها بالجبال؛ لئلا تميد، كما ترسي السفينة بالأجسام الثقيلة إذا كثرت أمواج البحر وإلاّ مادت، والله تعالى: (يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)[٤١].

والمخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه وما جعل فيها من الطبائع والقوى فهو كائن بقدرته ومشيئته سبحانه)[٤٢].

سابعاً: اختلاف التوقيت بين البلدان:

(سئل –رضي الله عنه– عن اختلاف الليل والنهار وإن الظهر يكون في دمشق ويكون الليل قد دخل في بلد آخر، فهل قائل هذا قوله صحيح أم لا؟

فأجاب –رحمه الله–: الحمد لله رب العالمين، طلوع الشمس وزوالها وغروبها يكون بالمشرق قبل أن يكون بالمغرب، فتطلع الشمس وتزول، وتغرب على أرض الهند، والصين والخط، قبل أن يكون بأرض المغرب، ويكون ذلك بأرض العراق قبل أن يكون بأرض الشام، ويكون بأرض الشام قبل أن يكون بمصر، وكل أهل بلد لهم حكم طلوعهم وزوالهم وغروبهم. فإذا طلع الفجر ببلد دخل وقت الفجر ووجبت الصلاة، والصوم عندهم، وإن لم يكن عند آخرين، لكن يتفاوت ذلك تفاوتاً يسيراً بين البلاد المتقاربة، وأما من كان في أقصى المشرق، وأقصى المغرب فيتفاوت بينهما تفاوتاً كثيراً، نحو نصف يوم كامل... والفلك، هو المستدير، كما ذكر ذلك من ذكره من الصحابة والتابعين، وغيرهم من علماء المسلمين، والمستدير يظهر شيئاً بعد شيء، فيراه القريب منه قبل البعيد عنه، والله أعلم)[٤٣].

ثامناً: الكسوف والخسوف:

قال –رحمه الله–: (فكذلك الله أجرى العادة أن الشمس لا تكسف إلاّ وقت الاستسرار، وأن القمر لا يخسف إلاّ وقت الإبدار، ووقت إبداره هي الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها: ليلة الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر. فالقمر لا يخسف إلا في هذه الليالي والهلال يستسر آخر الشهر: إما ليلة، وإما ليلتين. كما يستسر ليلة تسع وعشرين، وثلاثين، والشمس لا تكسف إلاّ وقت استساره. وللشمس والقمر ليالي معتادة، من عرفها عرف الكسوف والخسوف. كما أن من علم كم مضي من الشهر يعلم أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها. لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام، يشترك فيه جميع الناس، وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب، ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا علم ثابت، وبناء على غير أصل صحيح. وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**)[٤٤]. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم يقبل الله صلاته أربعين يوماً**) والكهان أعلم بما يقولونه من المنجمين في الأحكام، ومع هذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إتيانهم، ومسألتهم، فكيف بالمنجم؟! وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع، عن هذا الجواب. وأما ما يعلم بالحساب، فهو مثل العلم بأوقات الفصول، كأول الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، لمحاذاة الشمس أوائل البروج» التي يقولون فيها أن الشمس نزلت في برج كذا: أي حاذته. ومن قال من الفقهاء: إن الشمس تكسف في غير وقت الاستسرار فقد غلط، وقال ما ليس له به علم..... والعلم بوقت الكسوف والخسوف وإن كان ممكناً، لكن هذا المخبر المعين قد يكون عالماً بذلك، وقد لا يكون. وقد يكون ثقة في خبره، وقد لا يكون. وخبر المجهول الذي لا يوثق بعلمه وصدقه ولا يعرف كذبه موقوف. ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول، لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على

ذلك فلا يكادون يخطئون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلاّ إذا شاهدنا ذلك، وإذا جوز الإنسان صدق المخبر بذلك، أو غلب على ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك، واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك، كان هذا حثاً من باب المسارعة إلى طاعة الله تعالى وعبادته،..... في الصحيح: (**ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده**). وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم أنهما سبب لنزول عذاب بالناس، فإن الله إنما يخوف عباده بما يخافونه إذا عصوه، وعصوا رسله، وإنما يخاف الناس مما يضرهم، فلو لا إمكان حصول الضرر بالناس عند الخسوف، ما كان ذلك تخويفاً، قال تعالى: (مَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً) وأمر النبي صلى الله عليه وسلم: بما يزيل الخوف، أمر بالصلاة والدعاء، والاستغفار، والصدقة، والعتق، حتى يكشف ما بالناس، وصلى بالمسلمين فى الكسوف صلاة طويلة)[٤٥].

---

(١) الأستاذ المشارك بقسم الفقه في كلية الشريعة بالرياض.

(٢) سورة سبأ الآية: ١-٢.

(٣) نقلت هذه التعاريف من كتاب: أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك للدكتور: علي عبد الله الدفاع، نشر مؤسسة الرسالة، والتعريف الأول نقله عن: عبد الرحمن بن خلدون في كتابه: المقدمة في التاريخ، والثاني عن طاش كبرى زاده في كتابه: مفتاح السعادة، والثالث عن: اخوان الصفا في كتابهم: رسال اخوان الصفا.

(٤) سورة الرحمن الآية: ٥.

(٥) حاشية ابن عابدين ١/٣٠ بتصرف.

(٦) http://www.islamweb.net وينظر: أثر علماء المسلمين في تطوير علم الفلك، ص: ١٨، ١٩.

(٧) رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد.

(٨) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٩) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(١٠) سورة النحل، الآية ١٦.

(١١) شرح السنة ١٢/١٨٣، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

(١٢) من مؤلفاته -رحمه الله- مجموع الفتاوى المطبوع في ٣٧ مجلداً، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، والصارم المسلول على شاتم الرسول.

(١٣) من أوسع ما ورد له عن علم الفلك ما جاء في: مجموع الفتاوى كتاب الصيام ٢٥/١٢٦-٢٠٢ وطبع في كتيب مستقل بعنوان: رؤية الهلال والحساب الفلكي، بتحقيق: إبراهيم الحازمي.

(١٤) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٤/١٤٩٦، ١٤٩٧، رقم الترجمة:١١٧٥ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الذيل

على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤/٣٨٧-٤٠٨، رقم الترجمة: ٤٩٥، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

(١٥) المجموع ٢٥/١٣٢، ١٣٣.

(١٦) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(١٧) مجموع الفتاوى ٢٥/١٣٥، بتصرف.

(١٨) سورة البقرة الآية: ١٨٩.

(١٩) مجموع الفتاوى ٢٥/١٤٠.

(٢٠) ينظر: مجموع الفتاوى، ٢٥/١٤٣-١٤٥، وهذا معنى قوله، لانصه.

(٢١) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٠٧.

(٢٢) مجموع الفتاوى ٢٥/١٤٦.

(٢٣) مجموع الفتاوى ٦/٥٩٠.

(٢٤) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٠٧.

(٢٥) مجموع الفتاوى ٢٥/١٧٤، ١٦٥، ١٦٤.

(٢٦) سورة الأنبياء الآية: ٣٣.

(٢٧) سورة يس الآية: ٤٠.

(٢٨) الزمر الآية: ٥.

(٢٩) مجموع الفتاوى ٦/٥٨٦-٥٨٩.

(٣٠) مجموع الفتاوى ٥/١٥٠.

(٣١) منهاج السنة النبوية ٥/٤٤٢.

(٣٢) سورة نوح الآيتان: ١٥-١٦.

(٣٣) سورة الأنبياء الآية: ٣٣.

(٣٤) سورة يس الآية: ٤٠.

(٣٥) سورة الملك الآيتان: ٣-٤.

(٣٦) سورة ق الآية: ٦.

(٣٧) سورة يس الآيات: ٣٧-٤٠.

(٣٨) سورة الصافات الآية: ٦.

(٣٩) سورة الملك الآية: ٥.

(٤٠) سورة التكوير، الآيتان: ١٥-١٦.

(٤١) سورة فاطر الآية: ٤١.

(٤٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٩٢-٥٩٦.

(٤٣) مجموع الفتاوى ٦/٦٠٠، ٦٠١.

(٤٤) رواه ابن ماجة وأحمد.

(٤٥) مجموع الفتاوى ٤٢/١٥٥-٢٥٩.